

أنا القاتل

آرثر ويليامز

الأفعى

جون شتاينبك



ترجمة/ محمد عبد العزيز



KOTOPIA PUBLISHING HOUSE

ترجمة

أنا القاتل

آرثر ويليامز

ترجمة محمد عبد العزيز

لكوني قاتلًا، وخضت تلك التجربة المميزة قبلًا، فقد كنت مهتمًا جدًا بالمقال الذي كتبه مؤخرًا مراجعٌ معروف للقصص البوليسية التي تتضمن جرائم قتل، وقد قال فيه:

«أفضل القصص البوليسية وأكثرها إثارة من بين التي تُكتب اليوم هي تلك التي تعطي أهمية لنقطة «لماذا فعلها»، على الأقل بنفس قدر اهتمامها بنقطة «من فعلها» و«كيف فعلها». إنه لمن دواعي السرور أن نرى شخصية القاتل، حتى لو كان ذلك في مجال الخيال فقط، وقد تم إعطاؤها بعض الاهتمام والتحليل بشكل أكثر تفصيلًا!»

في الماضي كان اكتشاف هوية القاتل ووسيلة القبض عليه ذا أهمية كبرى. من ناحية أخرى، لا أعتبر الوقت الذي نقضيه في حل لغز «كيف» وقتًا ضائعًا؛ لأنه بعد كل شيء، يمكن اعتبار الطريقة المستعملة في القتل إشارة إلى نوع الرجل الذي يستخدمها، علاوة على ذلك، فإنها غالبًا ما تقرر ما إذا كان القاتل سيصبح مشهورًا أم لا، وهل سيتوصلون لشخصيته في النهاية أم لا.

أود أيضًا أن أذكر أننا -القتلة- لا نخطئ أبدًا. نشأت هذه المغالطة لأن القتلة الذين ارتكبوا أخطاء هم فقط من جذبوا انتباه الشرطة، أما بقيتنا، فلا نتصرف بمثل هذا الغباء.

في العموم، نحن أذكياء للغاية، ولو أخذنا عدد الحالات

المعروفة فقط بالاعتبار، يتبين أننا أفلتنا بالعديد من جرائم القتل، على الرغم من الجهود المنظمة والضخمة الموجهة ضدنا من مختلف المؤسسات. لكن المفهوم الخاطئ الأكثر شيوعًا لدى معظم الناس بخصوص القتلة هو أن مظهر القاتل يختلف عن الرجل العادي. في كثير من الأحيان يوصف بعبارات مبالغ فيها مثل «وحش مجنون» أو «وحش بدم بارد». هذه الأفكار الميلودرامية بعيدة كل البعد عن الحقيقة. في الواقع، يبدو القاتل طبيعيًا تمامًا، وربما يمتلك شجاعة أكبر للتصرف على اقتناع عام بأن القاعدة الذهبية الحقيقية هي «كل إنسان لنفسه».

ولهذا السبب، أن أقوم بتوفير معلومات موثوقة لقصةبوليسية حقيقية حدثت بالفعل وظلت دون حل، قررت أن أعلن عن تجربتي مع القتل!

كنت محظوظًا لكوني ذكيًا بما يكفي للقيام بهذه التجربة دون خوف من العواقب غير السارة.

لم أشعر بأي عداء تجاه «سوزان بريثويت» شخصيًاعندما قتلتها، على الرغم من أن البعض قد يعتبر أن لدي سببًا لأكرهها. لقد كنت مغرمًا جدًا بها في وقتٍ ما، وكنت سأتزوجها لو لم تكن بالغباء الكافي لاختيار «ستانلي بريثويت» للزواج. ومع ذلك -وبما أنني أعتبر نفسي رجل متحضرًا- فقد شعرت أنها إذا أرادت الزواج من ثري، فهي من جلبت موتها لنفسها!

أعتقد أن الجانب الأنثوي فيها هو ما جذبني لها، وهو الجانب الذي انجذب بدوره إلى الذكورة الواضحة في «بريثويت» اللعين، وهو رجل غريب الطباع إلى حد كبير، ولكنه يتمتع

بالعقل المناسب الذي ساعده على شق طريقه في هذا العالم.

ورث القليل من المال، ولأنه رجل ذكي، فقد كان قادرًاعلى الاستفادة منه على أفضل وجه. حقق دخلًا جيدًا من خلال التعامل في البورصة، ليس بطريقة عشوائية كالمقامرين، ولكن بطريقة المستثمرين الأذكياء. اعتاد أن يقوم بصفقات جريئة في بورصة «جوهانسبرج»، كأنه يقرأ الغيب، فترتفع قيمة الأسهم التي يشتريها بأرخص الأسعار لتصبح عالية كالذهب في خلال ساعات قليلة، تابع طريقته الجريئة في جني الأرباح بمجرد ظهور أي صفقة، على الرغم من حمى التفاؤل التي اندلعت في البورصة. على الرغم من حمى التفاؤل التي اندلعت في البورصة. وهكذا كان قادرًا على بناء ثروة صغيرة، وعندما جاء الركود الحتمي، كان قد حول معظم أمواله لصورة سائلة. وبدلًا من التأثر بانتشار الكساد، اشترى بهدوء الأسهم التي انخفضت قيمتها إلى ما يقرب من لا شيء، وبالتالي ضاعف ثروته -الضخمة بالفعل- عندما عادت الأسواق والأسعار لطبيعتها قبل الكساد.

كم يثير حنقي!

عندما عزفته على «سوزان»، انجذبت إلى حد كبيرلأسلوبه البارع والنجاح الذي حققه. في الواقع، انجذبت بشدة لدرجة أنها سافرت معه إلى أوروبا، وبذلك أنهت ارتباطها بي!

تمنيت لحظتها ألا أراها مرة أخرى.

لكن عندما استجبت لطرقات على باب منزلي الخلفي بعد ثمانية عشر شهرًا، وجدت «سوزان» تقف على السلم وحقيبتها

في يدها!

عندما استقرت على أريكة طراز «تشيسترفيلد» في مكتبي، أخبرتني قصتها. لم أفاجأ بما كاشفتني به. يمكنني أن أتخيل جيدًا أن ذكورة «بريثويت» المهيمنة المطمئنة، والتي فضلتها على صفاتي الدمثة المتواضعة، سوف تتطور إلى أنانية تحكمية، تأمر وتنهي باستبداد بفعالية.

عندما لم يعد بإمكانها تحمل شخصيته، تركته وأتت إليَ لأنها شعرت أنني سأساعدها لأجل خاطر ما كان بيننا. لكنها لم تلاحظ أنني لم أكن متحمسًا للغاية لمبدأ مساعدتها. في الواقع، كنت مستاءً للغاية. بعد أن هجرتني، تخطيتها ونسيتها، وفي نفس الوقت أدخلت تحسينات واسعة النطاق على مزرعة الدواجن الخاصة بي. لقد جعلت المزرعة بأكملها تعتمد على الدعم الذاتي، وتمكنت من إدارة المكان بأكمله بمفردي باستخدام أجهزة وعمليات موفرة للعمالة، لأنني أحب الطيور، وأفضل القيام بكل الأعمال بينهم بنفسي.

لكن مع وجود «سوزان»، كان من الصعب الاستمرار بنفس الطريقة المَرضية. كنت أعلم أنني سأضطر إلى الترفيه عنها، مما يعني أنني سأضطر إلى التخلي عن بعض الأعمال الأقل أهمية، ولكن الضرورية. من المحتمل أن يكون هناك تغيير في الروتين الذي اعتدت عليه، وربما تصاب الثلاثة آلاف دجاجة التي أملكها، واللاتي تمر بأكثر فتراتها العمرية حرجًا، ربما يصابون بالبرد أو بأي مرض هم عرضة له. لسوء الحظ لم أستطع التفكير في أي عذر مقبول لرفض مساعدتها. أيضًا، كانت قد حددت وقت وصولها جيدًا، عليها أن تقضي ليلة على الأقل عندي، لأنه

لم يكن هناك مكان في القرية يمكن أن تجد فيه إقامة، ولم تكن هناك قطارات تعود إلى «جوهانسبرج» حتى صباح اليوم التالي.

علمت أنه بمجرد أن ينكسر الجليد بيننا، نتيجة للسماح لها بالبقاء تلك الليلة، سيكون من الصعب إبعادها في اليوم التالي. بعد كل شيء، كنت في وقتٍ ما مغرمًا بها جدًا، وبلغت بي الحماقة أن أخبرتها بالماضي أنه بغض النظر عما سيحدث في النهاية بيننا، لو حدث ووقعت في مشكلة في المستقبل، يمكنها أن تعتمد على مساعدتي، لكن هذا الهذيان صدر مني عندما ظننت أننا سنمضي بقية حياتنا سويًا؛ ولأني فخور بنفسي لكوني رجلًا ينفذ كلامه ووعوده، لم أستطع تحمل التفكير في أنها يمكن أن تخبر أصدقاءنا المشتركين أنها عندما مرت بحالة طوارئ، أثبتت أنني كذاب ولا أنفذ وعودي.

كل هذا مر في ذهني بينما كانت تثرثر عن الأشياءالقاسية التي فعلها زوجها لها، ولكن أثناء تظاهري بالاستماع ظللت أتابع خيط أفكاري الخاصة حتى أصبحت منزعجًا من الطريقة التي اعتبرت هي بها تعاطفي أمرًا مفروغًا منه.

لقد استمعت لأجزاء من حديثها إليَّ، وخمنت من تلكالأجزاء كيف كانت تتمنى أن أساعدها، وهذا ضاعف من ضيقي!

رأيت المقدار القليل الموجود معي من مال يُنفَق على المحامين، حياتي المريحة والراضية استحالت لحياة تم تكديرها، سلامي المستقبلي صار مهددًا بسبب موجات من العواطف المعقدة، باختصار، اضطربت حياتي المستقرة بشكل جيد. صرت غاضبًا للغاية لدرجة أنني فكرت، «حقًا، يمكنني أن أعصر رقبتها حتى أقتلها!»

كان الخنق الفعلي أصعب مما يتصور المرء. لكن اتضح أن عدم القدرة على مواجهتها، دفعتني إلى الالتفاف حول الجزء الخلفي من الأريكة لوضع يدي حول حلقها، اتضح أنه ميزة.

عن طريق الانحناء خلف ظهر الأريكة، تمكنت من الضغطعلى رقبتها ورأسها بقوة!

وهكذا، من خلال الوقوف وراءها مثل ملك الموت، تجنبت أن تقوم هي إزاحة يدي بركلها وضربها ورفسها في الهواء محاولة تحرير نفسها. وأيضًا، عندما استرخى جسدها بالكامل، كنت أنا في وضع مريح بما يكفي لعدم الحاجة إلى الحركة حتى تأكدت من أنها ماتت.

صار وجهها ذا لون أزرق داكن، وقد تدلى لسانها بارزًا بشكل غريب، وبدت ملامحها صادمة إلى حد ما عند مقارنتها بملامحها المليحة والتعبير الذي حمله وجهها منذ بضع دقائق، وبدا أن شعرها اللامع قد فقد لمعانه ونعومته السابقين، وصار كتلة سوداء كئيبة هامدة. غير هذا، فإن منظر جسد «سوزان» لم يؤثر فيَ كثيرًا.

بعد التأكد من موت «سوزان»، دفعت لسانها داخل فمهامن جديد، وشرعت في التخلص من الجسد بالطريقة التي طرأت بعقلي واضطر لابتكارها عند قراءة الصعوبات التي واجهها قتلة آخرون في هذا الشأن بدأت العملية في تلك الليلة، على الرغم من عدم وجود ضرورة ملحة، لأنه سيمر أيام أو حتى أسابيع قبل أن يكون هناك أي تحقيق جاد بخصوص مكان وجود «سوزان»، كنت حريصًا على تجربة فكرتي بأسرع وقت.

استيقظت في الصباح الباكر كالعادة وانشغلت في روتين

مزرعتي.

بعد ظهر أحد الأيام، بعد حوالي ثلاثة أسابيع، أتى الرقيب «ثيرون» من الشرطة المحلية لمزرعتي وأراد أن يعرف ما إذا كنت أعرف أي شيء عن السيدة «بريثويت». كان الرقيب «جون ثيرون» القائم بالعمل الآن رجلًا مختلفًا عن «جوني ثيرون»، الذي لا يعمل بتلك المناوبة، والذي اعتاد أن يستقبلنا في الفناء الخلفي بحانة «ويجينز» من حين لآخر عندما يكون الجو دافئًا بشكل مناسب، ويقوم بتقديم عرض لإطلاق النار في الغرب قديمًا.

كان يصوب الطلقات بمهارة، واعتاد إطلاق النار من مسدسين بنفس اللحظة بدقة مذهلة، بينما هو ينظر في نفس الوقت بجانبه في ميلودرامي عدوانية، ثم بعد كل طلقة كان يبصق على فوهات المسدسات «لتهدئتها»، وإعطاء انطباع مضحك، كأنه بطل من رعاة البقر محاط بحفنة من الأوغاد الغوغاء. لكن الرقيب «جون ثيرون» من شرطة جنوب إفريقيا كان شرطيًا ذكيًا متأهبًا ويأخذ عمله على محمل الجد، وعرفت من طريقة صياغة سؤاله بأنه متأكد من أنني أعرف شيئًا عن السيدة «بريثويت»!

خمنت أنه قد تم الإبلاغ عن أنها مفقودة، وتم اقتفاءأثرها إلى مزرعتي. لذلك قررت أن أمنح «ثيرون» بعض ثقتي. قلت له بإيجاز كل شيء عن ارتباطي مع «سوزان» في الماضي، وانتهى الأمر بإخباره أنها أتت لرؤيتي في إحدى الأمسيات منذ حوالي ثلاثة أسابيع، لكنها غادرت مرة أخرى في نفس الليلة. أراد بطبيعة الحال مزيدًا من التفاصيل، وأراد أيضًا معرفة سبب

عدم قيامي بالذهاب وإبلاغ الشرطة أنني رأيتها في وقت لاحق عن الوقت الذي ذكرت الصحيفة أنه كان آخر مرة شوهِدت فيها حية. شرحت أنني لم أقرأ الصحف مطلقًا، ولكن حتى لو كنت قد قرأت النداء للحصول على معلومات، ما كنت سأبلغ عن زيارتها لأنها كانت تهرب من زوجها. استطردت وأخبرته أنها أرادت مني أن أساعدها، لكنني رفضت ذلك، تشاجرنا حتى غضبت في النهاية بشدة لدرجة أنها خرجت من المنزل تاركة وراءها قبعتها وقفازاتها وحقيبة سفرها. في ردي على أسئلته قلت إنني لا أعرف أين ذهبت أو كيف كانت تعتزم التصرف بدون حقيبة سفرها، أو ما إذا كانت لديها حقيبة يد أم لا. بعد استنفاد موضوع زيارة «سوزان»، طلب «ثيرون» رؤية حقيبتها.

أعطيتها له. وجد قفلها مفتوحًا ففتحها. في الأعلى كانت هناك حقيبة يد بنية، والتي تبين عند ظهورها أنها تحتوي على بعض المال، وزوج من أقراط الأذن، وعقد من اللؤلؤ، خواتم الماس، وبعض المتطلبات الأنثوية المعتادة، وعدد قليل من المفاتيح السائبة، كان أحدها مناسبًا للحقيبة. بعد فحص دقيق لباقي محتويات الحقيبة، سألني «ثيرون» بعد ذلك عما كانت السيدة «بريثويت» ترتديه في تلك الليلة. جاء هذا السؤال في وقت أقرب مما كنت أتوقع، لكنني أعطيته إجابة مدروسة مسبقًا وكانت تبدو حقيقية، ولكن لا قيمة لها، عبارة عن وصف غامض للملابس التي قمت بتعبئتها بعناية، جنبًا إلى جنب مع حقيبة اليد، في حقيبة السفر قبل ثلاثة أسابيع. كنت قد فتحت الحقيبة بأحد المفاتيح التي وجدتها في حقيبة اليد. اضطررت إلى ترك الحقيبة مفتوحة القفل لأنني لم أرغب بمواجهة مشكلة التخلص من المفتاح.

كنت قد قمت بالصدفة بتعبئة الملابس والأحذية وغيرها، بينما أرتدي قفازات حتى لا أترك بصمات. لم يكن لدي نية لترك بصمات أصابعي داخل الحقيبة وبذلك أرتكب الخطأ التقليدي. استمع «ثيرون» بتركيز إلى الوصف الذي ذكرته، ثم سحب الفستان الوحيد الموجود في الحقيبة، والذي كان من الواضح أنه قد تم ارتداؤه من قبل، وسألني إذا كان هذا هو الفستان الذي ارتدته السيدة «بريثويت» في ذلك المساء طبعًا أجبته أنه ليس كذلك، لكني علمت أنه إذا كان قد تم وصف هذا الفستان بالفعل من قِبَل أي شخص قد رأى «سوزان» ذاهبة إلى مزرعتي، سيكون هذا الوصف مشابهًا إلى حد ما للوصف الذي سبق أن أعطيته أنا لما كانت ترتديه.

بعد طرح المزيد من الأسئلة غير المهمة، غادر الرقيب«ثيرون» وقد حمل معه الحقيبة والقبعة والقفازات. لم تزرني الشرطة مرة أخرى لبضعة أيام. ذهبت إلى البلدة لأحظى ببعض الشراب في مساء الأسبوع الذي يقضيه «جوني ثيرون» عادة في الحانة، لكنه لم يظهر في تلك الليلة. لكنني علمت أنها ستكون مسألة وقت فقط قبل أن أراه مرة أخرى، لأن أثر «سوزان» انتهى بالتأكيد في مزرعتي، وستركز الشرطة معي حتى يكون لديهم سبب للبحث في مكان آخر. عندما عاد «ثيرون» في النهاية مرة أخرى، بعد حوالي أسبوع، كان برفقته الكونستابل «باري»، وهو شاب أصلع رأسه قبل الأوان.

لكن المسؤول عن كل من «ثيرون» و«باري» كان رجلًا من المقر الرئيسي في «جوهانسبرج». هذه المرة كانت كل الكلمات التي قالها الرقيب «ثيرون» طوال الصباح هي:

- هذا هو المفتش «بن ليبنبرج» يا «ويليامز».

سألت المفتش عما يمكن أن أقدمه له. كان رجلًا طويل القامة ووسيمًا، بدا كممثل أكثر من كونه محققًا. بعد ذلك علمت أنه كان متذوقًا جيدًا للمشروبات. كانت هوايته ابتكار وصفات جديدة للكوكتيلات والمشروبات الأخرى.

أعلن المفتش «ليبنبرج» عن أسفه لإزعاجي، وسألني إن كنت أمانع لو قام هو بإلقاء نظرة حول المكان؟ الأكيد أن السيدة «بريثويت» قد شوهِدت وهي تأتي إلى بيتي، وبالتأكيد لم يتم رؤيتها في أي مكان آخر؛ لذلك هو يود أن يريح نفسه بالتأكد من أنها لم تكن مختبئة في مكان ما في مزرعتي. أكدت له أنني فهمت وجهة نظره وأنه سيكون من دواعي سروري أن أقوده في جولة عبر المزرعة.

بينما نحن نفحص المنزل، شرحت لهم أنني أحب أن أكون مستقلًا عن أي مساعدة خارجية، لذلك جعلت منزلي ومزرعتي مستقلين قدر الإمكان. أريتهم صندوق الفحم الموجود في المطبخ، والذي شُيِد مثل غرفة صغيرة، وبه منفذ صغير مربع في الأرضية يقود للخارج، بجانب موقد الفحم.

كان هناك أسفل أرضية المطبخ خزان خرساني لتخزين مياه الأمطار، به مضخة يدوية، وتم مد الأنابيب منه إلى الحمام. جاء ما تبقى من إمداد المياه المنزلية الخاصة بي من خزان كبير على السطح، تملؤها مضخة الرياح من البئر.

بدأت الجولة بالخارج بأخذهم لبيت الدواجن الذي يمتد بطول ثلاثمائة قدم، والمقسم بطريقة معينة تسمح فيما أظن لآلاف

من الدجاجات أن ترقد على بيضها معًا.

قدت رجال الشرطة لغرفة الحضانة ببيت الدواجن،وكذلك منزل الحضانة، والذي استخدمته أيضًا لإعداد دفعات تجريبية من الدجاج أو الطيور. ثم أخذتهم بعد ذلك إلى الحظيرة الكبيرة المبنية من ألواح الحديد المموج، التي ضمت بين جدرانها الجرار الخاص بي، وآلة الحصاد، ومطرقة، وآلات صغيرة متنوعة مثل القواطع، وما إلى ذلك، هناك أيضًا بعض معدات المزرعة الخاصة بي مثل المحاريث، والأمشاط، وخزان التجفيف بالبخار، ومخزوني من الطعام... إلخ.

انتصبت صفوف من صهاريج التخزين الكبيرة حول جوانب الحظيرة، وكانت تحتوي الذرة الكاملة والمطحونة، أو دقيق الذرة، أو وجبات الفول السوداني، أو وجبات العظام المطحون للدجاج، ومتطلبات الدواجن والأعلاف المختلفة الأخرى التي تستخدم لتكوين الحصص المتوازنة المختلفة. استطعت أن أرى عيونهم تقيس الحاويات، والتفكير الذي بدا عليهم عند رؤيتها.

عندما خرجنا للهواء الطلق، أشرت مرة أخرى إلى الأراضي المزروعة، كانت حقولاً خضراء، بسبب المياه القادمة من السد، ولكن حقول الذرة والأراضي الأخرى كانت ذات لون مزيج من الأصفر والبني. أمكننا أن نرى على بعد بعض الأبقار والثيران والخيول ترعى في الجزء غير المزروع من مزرعتي. عندما رأوا المزرعة بأكملها، شكرني المفتش «ليبنبرج» على مجهودي وغادر وهو بادي الغم.

كنت أود أن أقترح عليهم أنه ربما من الأفضل لو جلبوا عشرين فردًا مع عشرين ممسحة لتمشيط المكان جيدًا...

لكنني قررت أنه ليس من الحكمة أن أخاطر أكثر من اللازم.

مر أسبوع كامل دون أحداث، على الرغم من أنني بدأت أشعر بالتوتر بسبب التواجد تحت المراقبة المستمرة. حتى الشرطي «باري» غيّر أسلوبه وصار يجتاز بوابتي، والتي على الرغم من أنها تقع على مسافة معقولة من المنزل، فما يزال بإمكانه الحصول على رؤية واضحة عبر المروج للمنزل والمرآب. قررت أن أتحرك وأدفع الأمور إلى ذروتها!

أفضل خططي بالطبع كانت الهروب. لذلك قمت بالاستعدادات اللازمة، وفي وقت مبكر ذات صباح غادرت في سيارتي بسرعة. قدت السيارة بسرعة لحوالي خمسة أميال، ثم تباطأت بشكل مفاجئ وتوجهت بالسيارة نحو حقل وخبأتها قدر الإمكان وسط جزء كثيف الأشجار، بعيدًا عن الطريق.

مشيت بقية الطريق إلى الكهوف الواقعة تحت الأرض، غير بعيدة عن منجم الذهب الشهير الموجود بالمنطقة.

لم تكن هذه الكهوف جميلة، على الرغم من اتساعها، ولا تجتذب الكثير من الزوار. كنت قد قررت أن الشرطة ولا بد قد فتشتها بدقة بالفعل، لذا فالأغلب أنه لن يأتي من يزعجني. أحضرت مصباحًا، وموقدًا محمولًا للمعسكرات، ومؤنًا وفيرة، وسرعان ما استقررت بشكل مريح في أحد الكهوف الصغيرة.

كنت أعلم أن الطيور في المزرعة ستكون على ما يرام لبضعة أيام، لأنني وضعت ما يكفي من طعام في أحواض التغذية ليكفي لمدة ثلاثة أيام تقريبًا، وأوعية الماء كذلك ممتلئة لما يكفي لبضعة أيام. سوف يتراكم البيض في بطاريات الأعشاش وفي النهاية يتسبب في فوضى، لكن لا يمكن أن يتعرض المرء

للقتل مقابل إنقاذ بعض البيض من الكسر.

لن تموت الحيوانات الأخرى من الجوع، وهناك الكثير من الماء حول مكان. كان الدجاج آنذاك كبيرًا بما يكفي للاستغناء عن الحرارة الصناعية للحصول على الدفء، لا يتطلبون الآن سوى وهج صغير من المصابيح ليتجمعوا في مجموعات في الليل. لذلك تمكنت من الاسترخاء والاستمتاع بالروايات البوليسية التي أحضرتها معي. كانت القصص جيدة للغاية، على الرغم من أنني لاحظت بارتياح أن المحققين المختلفين تطلبوا قدرًا كبيرًا من المساعدة من مؤلفي الكتابين.

في صباح اليوم الثالث تخيلت أن الأمور قد صارت ملائمة بالنسبة لي لأظهر مرة أخرى.

لحسن الحظ، كان الرقيب «ثيرون» هو من قابلني أولًا عندما خرجت من السيارة أمام منزلي. ليس وجه الإنسان مصممًا للتعبير عن الدهشة، والإثارة، والرضا، والفضول، والتساؤل، والارتياح، والتحفظ الرسمي، والود، والندم في آن واحد، لكن «ثيرون» بذل قصارى جهده. عندما تمالك نفسه طلب أن يعرف أين كنت. قلت له إنني ذهبت إلى الكهوف لمعرفة ما إذا كانت السيدة «بريثويت» قد ذهبت هناك مثلًا وتاهت وماتت هناك، وأنني قد ضللت الطريق هناك، ووجدت طريقي فقط هذا الصباح. لوح بيده في سخط، وخمنت أنه قد بحث عني كثيرًا، لكنه لم يفكر في البحث عني في ذلك المكان بينما كان يفكر فيما يجب أن يفعله بعد ذلك. نظرت حولي لتفقد تفاصيل المكان، ولأرى ماذا فعلوا أثناء غيابي، هل قلبوا المكان رأسًا على عقب كما توقعت أم لا.

وكما توقعت، كان من الواضح أن الشرطة قد قررت عدم ترك حجر فوق الآخر، يبدو أنهم قد استخدموا أكثر من عشرين شخصًا لتفتيش المكان الذي كان في حالة اضطراب.

كان الرجال في كل مكان على سطح المنزل، وحول المنزل، نصفهم تحت البيت، كما كان هناك رجال يمشون ورؤوسهم منحنية يفحصون الأرض، ورجال يحفرون في أماكن مختلفة، ورجال حول السد، وحول البئر، وفي الحقول والأراضي. لا أستبعد أن أجد أحدهم لو فتحت صنبور المياه. لم أستطع رؤية ما في الحظيرة، لكن لا بد وأنها مليئة بالرجال كذلك، لأنه كانت هناك مجموعة مبعثرة من الأجهزة الزراعية أمام الأبواب المزدوجة الرئيسية، كأنما هناك حيوان متوحش قرر الاستيلاء على الحظيرة، فقرر ركل ما بداخلها خارج المكان.

لكن المشهد الأكثر غرابة كان بيت الدجاج الطويل. تم طرد الدجاج بطريقة غير حكيمة للخارج، حتى يمكنهم فحص الأرضية الخرسانية بالداخل. ولتعرية الأرضية، يجب أولًا نزع طبقة من القش سمكها ستة بوصات. تم بالفعل تحقيق هذه المهمة الكبيرة، لأن القش تناثر في أكوام كبيرة بالخارج أمام أبواب المدخل. كما كان هناك رجال يحاولون كشف الأسس على طول الجزء الخارجي من بيت الدواجن، فأيًا كان من هو مكلف بالبحث، عليه ألا يترك حجرًا فوق حجر كتبت «يحاولون» قاصدًا، لأن آلاف الدجاجات اللاتي ليس لديها مكان يذهبن إليه أعاقوا عمل الحفارين إلى حد كبير، لكن الحفارين كانوا يحاولون بإصرار مثل الدجاجات، للعودة إلى حيث ينتمون.

بدا الدجاج كأنه مصمم على العودة، كان لديه بيض للرقود

عليه.

وقف صف طويل منهم طيلة الوقت على طول الحافة الضيقة بين الأسلاك الشبكية الموجودة أمام المنزل وحافة الجدار الأمامي المنخفض، الذي استراحت عليه شبكة السلك الأمامية.

كاد الدجاج أن يخنقهم تقريبًا. عندما لم يكن الدجاج هو ما يزعجهم، كان هناك الغبار والتراب. كانت هناك سلالة من الطيور تدعى «ليجهورن»، وهو طائر شديد الشقاوة ومفرط الحركة، وكان مزعجًا لهم كذلك.

بينما أشاهد ما يحدث، كان على أحد الرجال الذين يحفرون أن يرد على نداء من شرطي بعيد. رد على النداء البعيد بصيحة صاخبة مفاجئة، نتج عنها قفز آلاف الدجاجات في الهواء كطائر واحد، مع ارتفاع صوت هدير الأجنحة. اختفى الرجال وسط سحابة تتكون من خليط من الجسيمات الدقيقة من السماد والقش، والتراب، والطعام المنسكب.

لم أتمكن من رؤية المزيد، فقد قرر «ثيرون» بحلول ذلك الوقت أنني من الأفضل أن أذهب معه إلى قسم الشرطة للإجابة على بعض الأسئلة. تركني في قسم الشرطة في عهدة الكونستابل «هورندال»، والذي استقبل تحيتي له بتعبير وجه صارم.

بعد تأخير قصير، بدأ «ثيرون» في استجوابي، محاولًا بشدة إعطاء الانطباع أنه لا يعلق أهمية كبيرة على إجاباتي. كنت قد وصلت لمنتصف سيجارتي الثالثة عندما اقتحم شرطي الغرفة وصرخ:

- وجدنا الجثة!

هتفت بدهشة:

- كم هذا مثير! أين عثرتم عليها؟

ملاحظة سيئة للغاية بالنظر إلى أنني كنت أعرف السيدة «بريثويت» جيدًا، لكن ليست سيئة لدرجة الاعتقاد بأنها صادرة عن عقل مذنب ومتوجس.

التفت إلى «ثيرون» فوجدته يراقبني عن كثب، ورأيت شكًا يرتسم في عينيه لا يهم ما إذا كنت بادي الذنب أم لا أنا آمن تمامًا الآن ولا يمكن أن أقع، بغض النظر عن أي حيل سيجربونها معي ولكن إذا أظهرت أي تدل على وجود تأنيب ضمير، فسيعرف «ثيرون» بالتأكيد أنني القاتل. أردت أن أتجنب هذا، وإلا فلن يكون هناك الكثير من المستقبل أمامي لأتمتع فيه بزيارة الحانة. لم أمانع شكوكه الرسمية، لكن يقينه الخاص كان مختلفًا. واصل «ثيرون» المهزلة وسأل الشرطي أيضًا عن مكان العثور على الجثة. استمر هذا الأخير، بحماس أقل، في وصف بقعة في الأرض غير المزروعة. نظر كلاهما إليَّ بأمل أخير قد يشير إلى اهتمامهما برد فعلي.

قلت:

- غريب، لم أكن لأفكر أن هذا مكان جيد لدفن جثة. هذا يعني أنها قُتلت، أليس كذلك؟

بالطبع لم يعثروا على جثة سوزان» في مزرعتي أو في أي مكان آخر، ولا أي أثر لها. قاموا بفحص الموقد بحثًا عن أي علامات لرماد بشري، وقاموا بمسح المدخنة لنفس السبب قاموا بحفر المصارف لمعرفة ما إذا كنت قد أذبت الجسم في بعض

المواد الكيميائية باختصار، نظروا في كل مكان وجربوا كل حيلة يمتلكها مركز تحاليل الطب الشرعي في «جوهانسبرج» كل ذلك دون جدوى.

كان عليهم الاستسلام في النهاية، وبغض النظر عن مقدار ما يشتبهون في أن «سوزان» قد قُتلت، لم يكن لديهم دليل. على الرغم من دقة البحث في مزرعتي، لم يتم د العثور على جثة، ونتج عن هذه الحقيقة، بالإضافة إلى عدم وجود دافع واضح من جهتي، تشتت سحابة الشك التي حلقت فوق رأسي تدريجيًا.

في ذلك الكريسماس، لإظهار أنه لم يكن هناك أي شعور سيئ من جانبي، أرسلت للرقيب «ثيرون» ديكًا على سبيل الهدية.

مرت الأشهر في سلام مستمر. تشوه ذلك السلام فقط بسبب نبأ مغادرة الرقيب «ثيرون» للانضمام إلى الشرطة الروديسية. أقمنا له حفلة وداع رائعة، قدم «بيل ويجينز» المشروبات، بينما ساهمت أنا بالدواجن. لم يكن «جوني» المسكين قادرًا على أن يقوم بتقديم عرض إطلاق النار في تلك الليلة، لأنه عندما خرجنا إلى الفناء كان للهواء النقي تأثير سيئعليه، واستغرق الأمر الكثير من وقته ليبقى منتصبًا.

بدأ بناء منزل حضَانة الدجاج الجديد يشغل كل أفكاري. ولكن استغرق القيام بذلك بنفسي كل وقتي، ونتيجة لذلك لم أستطع الاحتفاظ بمنزلي نظيفًا ومرتبًا.

بعد الكثير من التردد، جلبت مدبرة منزل شقراء طويلة، لكنها تعطي انطباعًا بأنها طفلة نوعًا ما.

كانت شديدة الفعالية، لكن ابتسامتها الدافئة تشير إلى أنها

يمكن أن تكون لطيفة للغاية وحنونة. أدارت المنزل بشكل جيد لدرجة أنه لدي الوقت الآن في المساء لأكتب هذا التسجيل لتجربتي مع القتل!

أتطلع إلى قضاء وقت ممتع في حالة تمكني من نشر هذا. أنا فضولي بشكل خاص حول رد فعل «ثيرون» لو قرأ هذا وعرف هوية طعام تلك الدجاجات السمينة التي كان يتمتع بها.

أفترض أنه سيشعر بالاشمئزاز، رغم أنه لا داعي لذلك.

بعد كل شيء، كيف كان سيعلم أن تلك الدجاجات كانت تتغذى على جثة «سوزان بريثويت»؟ لا أقصد نقر الجثة بفظاظة على العكس من ذلك، لقد أكلت الطيور «سوزان» في حصص متوازنة مر كل جزء من جسدها عبر المطرقة، ليتم طحنه في وجبة العظام الدقيقة ووجبة اللحوم!

لم تستلزم هذه العمليات أي صعوبة لأنني تعلمت كيفية القيام بذلك من مقالة في مجلة المزارعين، وكنت أفعل نفس العملية مع جيف الحيوانات قبل فترة طويلة. وبقدر ما يتعلق الأمر بعملية الطرق، فإن الأجسام البشرية، التي لا تتطلب نزع جلدها، وتتسم بعظام أصغر حجمًا، كانت عملية أسهل بكثير. كان عليّ فقط أن أحرص على أن تكون كل قطعة من الجسد مطحونة جيدًا. اضطررت إلى إجراء عملية طحن الأسنان لعدة مرات حتى أصبح لا يمكن تمييزها عن بقية وجبة العظام. أما الشعر فقد أحرقته.

بعد أن عالجت الجثة، مسحت كل ما لمسته بحفنة من البرسيم الأخضر، والذي طحنته بدوره بشكل جيد. ثم تم وضع جثث الحيوانات في الطاحونة، يليها أكوام من البرسيم وأكياس من

الذرة، حتى يتم إزالة جميع آثار الخلايا البشرية تمامًا من الآلة. تم تحويل وجبة اللحم ووجبة العظام ووجبة الدم إلى حصص مع غيرها من المواد الغذائية، وتم إطعامها إلى مجموعتي التجريبية من الكتاكيت، والذين نموا ليصبحوا مجموعة جيدة من الدجاج، كما يمكن أن يشهد «ثيرون».

في واقع الأمر، اكتسبت سمعة طيبة بامتلاك أفضل أنواع الدجاج والطيور الصغيرة والدواجن الأخرى، وقد أزعجني المزارعون من أجل الحصول على وصفة الوجبات الغذائية المتوازنة التي أقدمها للدجاج ليصبح بتلك الجودة. من المؤكد أن هذا سيلفت انتباه المفتش «ليبنبرج»، الذي صار يعرف الآن المكان الذي يجب أن يبحث فيه، مما قد يجعله يجرب محاولة العثور على بعض الأدلة على وجود الجثة في مزرعتي. لكنني متأكد من أنه لن ينجح. لن يكون هناك فائدة من ذبح الدواجن بالجملة في محاولة للعثور على الدواجن التي التهمت بقايا جسد «سوزان»، بهدف تحليلها بحثًا عن أي آثار لخلايا بشرية بداخلها.

لقد تأكدت من أن كل طير اشترك في التهام بقاياها قد تم التهامه هو نفسه بواسطة بشر آخرين. بما أن الناس لا يأكلون عظام الطيور، فقد حرصت على بيع أو منح بعض تلك الطيور بشرط أن يسمح لي بجمع العظام بعد ذلك. كان تفسيري لهذا هو أنني كنت أعاني من نقص في وجبة العظام التي أقدمها للدواجن.

دخلت تلك العظام مع عظام أخرى في الطاحونة. مثال جميل للولب لا نهائي.

كما أن هناك عددًا كبيرًا من الأشخاص المجهولين في أماكن بعيدة، والذين شاركوا في عملية أكل لحوم البشر المؤسف هذه وأقصد بهم من أكل البيض الذي وضعته الدجاجات ثم لا شك أن المفتش «ليبنبرج» سيفكر في السماد المكون من فضلات الطيور لم أكن لأزعج نفسي بالتفكير في هذا لو كنت مكانه كل جزء من السماد تم توزيعه على أرضي غير المزروعة والمحروثة بالكامل.

لسوء حظ للمفتش، فقد قمت بالتخلص من كل بقايا الريش والرؤوس والسيقان، والأجزاء الداخلية من الطيور، فتم بيعها، أو توزيعها بعد حرقها أو تجفيفها بالبخار، أو تم طحنها بمطرقة الطاحونة بلا هوادة آمل ألا يستخدم هذا المفتش الطيب قصتي هذه كاعتراف قانوني.

سيكون من المؤسف للغاية أن يتم القبض على قارئ متحمس للقصص البوليسية، كنتيجة لرغبته في رؤية قصته منشورة، فقط لأنه اخترع تفسيرًا عمليًا لاختفاء امرأة كان يعرفها.

أفترض أنني يجب أن أتوقع أيضًا قدرًا معينًا من الكراهية إذا تمت قراءة هذا في بلدتنا. لا شك أن بعض الأشخاص ضيقي الأفق سينظرون إليّ برعب، وسيخافني الآخرون. بما أن النتيجة الرئيسية لمثل هذا التصرف ستكون ألا يضايقني أو يزعجني أحد سكان البلدة بعد الآن، سيجعلني هذا سعيدًا جدًا.

حدث تطور جديد. يبدو أن مدبرة منزلي المدعوة «آن ليسن» قد تخيب أملي بعد كل شيء. من الواضح أنها تسقط، أو سقطت بالفعل، في حبي، وأصبحت مزعجة وجالبة للمشاكل.

صار تعاطفها معي زائدًا عن الحد. ويبدو الآن أنه لم يعد لدي

أي خصوصية، لأنها دائمًا ما تزعجني حول القيام بأشياء تضيف إلى راحتي. لا أرغب في إيذاء مشاعرها بإخبارها بالتوقف عن فعل ما تفعله انطلاقًا من حنية قلبها.

ولأنها لا تملك أي مؤهلات، فسيكون من العار إبعادها لتقاتل من أجل الحصول على وظيفة أخرى. لقد اقترحت عليها أن تخرج أكثر، خاصة في الأمسيات، لكنها قالت إنه من الممل أن تتجول بمفردها. ليس لديها أصدقاء أو حتى علاقات.

يا لها من بائسة!

ليس لديها من يفتقدها، وأنا حريص للغاية على إعداد وجبات جيدة للغاية لدواجني للموسم المقبل، وأن أغذيها بأفضل المواد الغذائية. أعتقد أن هذا لا يترك أمامي الكثير من الخيارات، أليس كذلك؟

أعرب رئيس الجمعية الوطنية للدواجن عن رغبته في رؤية مزرعتي ومجموعة الدجاج والديَك الذين اشتهرت بهم في البلدة، ورغب كذلك في معرفة خلطتي السرية!

أفكر بإخباره بمكونات خلطتي بالتفصيل، فما رأيكم؟

تذكر انك حملت رواية انا القاتل - الافعى حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

***

الأفعى!

جون شتاينبك

ترجمة محمد عبد العزيز

كان الظلام قد حل تقريبًا عندما قام الدكتور «فيليبس» الشاب برمي حقيبته على كتفه وغادر بيته.

صعد فوق الصخور وسار عبر الشارع بحذائه المطاطي طويل العنق. كانت أضواء الشوارع مضاءة عند وصوله لمعمله الصغير الكائن في شارع «كانري» في بلدة «مونتيري» بولاية «كاليفورنيا».

كان مبنى صغيرًا ضيقًا، يقف جزئيا على رصيف فوق مياه الخليج، وجزئيًا على الأرض. على الجانبين اصطفت عبوات السردين الكبيرة المعدنية. صعد الدكتور «فيليبس» الدرجات الخشبية متعجلًا، وفتح أحد الأبواب.

ركضت الفئران البيضاء في أقفاصها على الأسلاك، وأما القطط الأسيرة في أقفاصها فماءت ناشدة بعض الحليب.

أشعل دكتور «فيليبس» الضوء الساطع فوق منضدة التشريح، ورمي الكيس الذي يحمله على الأرض. مشى إلى الأقفاص الزجاجية بجوار النافذة حيث تعيش الأفاعي الجرسية، ثم انحنى ونظر إلى الداخل.

كانت الثعابين متجمعة وتستريح في زوايا القفص، لكن كل رأس واضحة له، بدت العيون الضيقة لا تنظر إلى أي شيء، لكن عندما انحنى الشاب على القفص، ظهرت الألسنة المشقوقة

وتحركت لأعلى ولأسفل ببطء. ثم تعرفت الأفاعي على الرجل وسحبت ألسنتها للداخل مرة أخرى.

خلع الدكتور «فيليبس» معطفه الجلدي وأضرم النار في موقد القصدير، وضع غلاية ماء على الموقد وأسقط علبة فاصوليا في الماء. ثم وقف يحدق في الكيس الملقى على الأرض.

كان شابًا عادي المظهر، وقد ارتسمت في عينيه نظرة مجهدة على الدوام، بالطريقة المميزة لمن ينظر من خلال المجهر لفترة طويلة، بينما التمعت لحيته الشقراء القصيرة في ضوء مصابيح المعمل. كان يرتدي سروالًا قصيرًا.

انبعث تيار من الهواء الساخن بلطف فوق المدخنة، وانبعث وهج دافئ من الموقد، بينما حامت أمواج صغيرة من الهواء البارد بهدوء حول الأكوام المحيطة بالمبنى. تراصت الرفوف حول الغرفة طبقة فوق طبقة، كأنها متحف، وفوق تلك الرفوف كانت الأوعية التي تحوي العينات البحرية التي تم التعامل معها.

فتح الدكتور «فيليبس» بابًا جانبيًا ودخل إلى غرفة نومه، وهي غرفة مليئة بالكتب، بها سرير من أسِرة الجيش، ومصباح للقراءة، وكرسي خشبي غير مريح. خلع حذاءه المطاطي وارتدى زوجًا من النعال مصنوعًا من جلد الغنم.

عندما عاد إلى الغرفة الأخرى كان الماء في الغلاية قد بدأ بالفعل في الغليان. رفع كيسه إلى المنضدة تحت الضوء الأبيض وأفرغ منه عشرين واحدة من نجم البحر.

وضع كل هذا بالخارج جنبًا إلى جنب على المنضدة. استدارت

عيناه للفئران الراكضة داخل الأقفاص السلكية.

أخذ الحبوب من كيس ورقي، ثم سكبه في أحواض التغذية. فوزًا تدافعت الفئران فوق الأسلاك وقفزت فوق الطعام. انتصبت زجاجة حليب واقفة على رف زجاجي بين أخطبوط صغير وقنديل البحر. رفع الدكتور «فيليبس» زجاجة اللبن ومشى إلى قفص القطط، ولكن قبل ملء الحاويات، مد يده نحو القفص وبرفق التقط قطة منهم، بيضاء ضخمة.

خبط عليها بخفة للحظة ثم أسقطها في صندوق صغير أسود اللون، ثم أغلق الغطاء بقفل، ثم قام بتشغيل المفتاح الذي يدخل الغاز إلى الصندوق الذي يستخدمه لقتل بعض الحيوانات، أو تخدير الأخرى!

بينما بدأ الصراع القصير في الصندوق الأسود، ملأ أوعية الشراب بالحليب. اقتربت إحدى القطط من يده فابتسم وداعب رقبتها. صار الصندوق هادئًا الآن. أطفأ المفتاح لأن الصندوق ولا بد قد صار مليئًا بالغاز. كان الماء على الموقد يغلي بقوة حول علبة الفاصوليا. رفع الدكتور «فيليبس» العلبة بواسطة ملقاط ضخم، وفتحها، وأفرغ الفاصوليا في طبق زجاجي. بينما هو يأكل شاهد نجم البحر الموجود على المنضدة. نضحت قطرات صغيرة من سائل حليبي من بين أطرافه.

عندما أنهى طعامه ذهب ووضع الطبق في الحوض، وخطا إلى خزانة الأدوات. أخرج منها مجهزًا وكومة من الأطباق الزجاجية الصغيرة. ملأ الأطباق واحدًا تلو الآخر بمياه البحر من حنفية معينة، ورتبها في خط بجانب نجوم البحر. أخرج ساعته ووضعها على منضدة تحت الضوء الأبيض المتدفق. مرت أمواج

الاستماع إليك.

اتكأت المرأة الطويلة على المنضدة. قام الشاب بجمع السوائل من بين أشعة نجم البحر باستخدام قطارة العين وقذفه في وعاء من الماء، ثم قام بسحب بعض السائل اللبني وقذفه في نفس الوعاء وقلب الماء برفق باستخدام قطارة العين. بدأ وصلة الشرح الصغيرة:

- عندما ينضج نجم البحر جنسيًا، فإنه يطلق الحيوانات المنوية والبويضات عندما يتعرض لانخفاض المد. عن طريق اختيار عينات ناضجة جنسيًا منها وإخراجها من الماء، فأنا أسبب لهم حالة شبيهة بحالة المد والجزر. الآن قمت بخلط الحيوانات المنوية والبويضات. والآن سأضع بعضًا من الخليط في كل واحدة من هذه الأطباق الزجاجية العشرة. في غضون عشر دقائق سأقتل من بداخل أول طبق بالمنثول، بعد عشرين دقيقة سأقتل المجموعة الثانية، ثم مجموعة جديدة كل عشرين دقيقة. ثم سأوقف العملية على مراحل، وسأقوم بوضعهم على شرائح مجهرية للقيام بدراسات حيوية.

ثم توقف عن الحديث لثوانٍ. ثم أكمل :

- هل ترغبين في النظر إلى هذا المجموعة الأولى تحت المجهر؟

- لا، شكرًا.

التفت إليها بسرعة. لطالما أراد الناس أن ينظروا من خلال عدسة المجهر، لكن تلك السيدة لم تكن تنظر إلى المنضدة على الإطلاق، وإنما تنظر له. كانت عيناها السوداوان ثابتتين عليه، لكن لم يبد أنهما تريانه حقًا.

هواء البحر المالح متنهدة حول ألواح البلاط التي تغطي الأرض.

أخذ قطارة من درج وانحنى فوق نجوم البحر. في تلك اللحظة تصاعد صوت خطوات ناعمة سريعة على السلالم الخشبية، وطرقات قوية على الباب. مرت تكشيرة انزعاج عبر وجه الشاب بينما يتجه لفتح الباب.

وقفت في المدخل امرأة نحيفة طويلة القامة. كانت ترتدي سترة سوداء، وقد تدلى شعرها الأسود الطويل، وبدا مبعثرًا من الريح التي تهب بالخارج. لمعت عيناها السوداوان في ضوء الغرفة القوي. تحدثت بصوت خشن:

- هل لي بالدخول؟ أنا أرغب بالتحدث إليك.

قال بفتور:

- أنا مشغول للغاية الآن. يجب عليّ القيام بالكثير من الأشياء.

لكنه وقف بعيدًا عن الباب. تسللت المرأة الطويلة للداخل.

- سأظل هادئة حتى يمكنك التحدث معي.

أغلق الباب وجلب الكرسي غير المريح من غرفة النوم. قال بلهجة معتذرة:

- بدأت تجربة مهمة ويجب أن أركز فيها.

اعتاد الكثير من الناس الدخول وطرح الأسئلة. كان لديه القليل من الوقت أو البال الرائق لتقديم تفسيرات للتجارب التي يقوم بها، اعتاد أن يقول دون تفكير:

- اجلس هنا. سأكون في غضون دقائق قليلة قادرًا على

ثم أدرك السبب، كانت قزحية العين داكنة مثل الحدقة نفسها، لم يكن هناك فارق لوني بين الاثنين انزعج الدكتور «فيليبس» من إجابتها على الرغم من أن الإجابة على الأسئلة تثير ملله، إلا أن قلة الاهتمام بما كان يفعله أثارته أكثر. تزايدت بداخله الرغبة في إثارة اهتمامها.

- هناك شيء سأفعله بينما أنتظر مرور تلك الدقائق العشر. بعض الناس قد لا يحبون رؤية ما سأفعله. ربما تفضلين الذهاب إلى تلك الغرفة حتى أنتهي.

قالت بنبرة صوتها الهادئة:

- لا. افعل ما يحلو لك. سأنتظر حتى يمكنك التحدث معي.

استراحت يداها جنبًا إلى جنب في حجرها. بدت في راحة تامة. لمعت عيناها، لكن بقية جسدها كان مسترخيًا بالكامل. فكر أنه ربما يكون السبب في هذا هو انخفاض معدل الأيض بداخل جسدها، منخفض مثل الضفادع تقريبًا، كما بدا من مظهرها. راودته الرغبة في صدمها مرة أخرى. أحضر مهدًا خشبيًا صغيرًا إلى المنضدة، وأخرج بعض المباضع والمقصات، وكذلك ثبت إبرة مجوفة كبيرة لأنبوب الضغط.

ثم أحضر القط المسترخي الجسد من الصندوق الأسود، ووضعه في المهد، وقيد ساقيه بخطافات في الجانبين.

ألقى نظرة جانبية على المرأة. لم تتحرك. كانت لا تزال مسترخية مكانها. كشر القط عن أنيابه للضوء، وقد علق لسانه الوردي بين أسنانه. قام الدكتور «فيليبس» بقص جلده بمهارة وفتح عند منطقة الحلق، شق طريقه للداخل بمشرط حتى وجد

شريانًا. وبثقة من فعل هذا كثيرًا، وضع إبرة في الوعاء وربطها بالأمعاء. أوضح لجليسته:

- سائل التحنيط. سأقوم لاحقًا بحقن مادة صفراء في الأوردة، ومادة حمراء في الشرايين، لتشريح مجرى الدم من أجل فصول علم الأحياء.

التفت لينظر نحوها مرة أخرى. بدت عيناها الداكنتان غائبتين لم تفهما شيئًا مما قاله. نظرت دون تعبير إلى حلق القطة المفتوح، الذي لم ينزف قطرة دم. كان الشق نظيفًا. نظر الدكتور «فيليبس» إلى ساعته قبل أن يقول:

- حان الوقت للتعامل مع المجموعة الأولى.

هز بضع بللورات من المنتول في أول طبق زجاجي. كانت المرأة تجعله يشعر بالتوتر. تشبثت الفئران بسلك القفص مرة أخرى وأخذت تهمهم بهدوء. ضربت أمواج الهواء البارد أسفل المبنى، بينما مرت بعضها فوق طبقة البلاط. ارتجف الشاب. وضع بعض قطع الفحم في الموقد وجلس. قال:

- الآن. ليس لدي أي شيء أفعله لمدة عشرين دقيقة.

لقد لاحظ مدى صغر ذقنها، الذي بدا منطقة صغيرة أسفل الشفة السفلى.

بدت كما لو أنها تستيقظ ببطء، للخروج من بركة عميقة من الإغماء. ارتفع رأسها وتحركت عيناها الداكنتان بأنحاء الغرفة ثم عادتا إليه. قالت:

- كنت أنتظر.

بقيت يداها على حجرها. سألت:

- لديك ثعابين؟

قال بصوت عال:

- نعم. لدي حوالي دزينتين من الأفاعي الجرسية. أحلب السم وأرسله إلى مختبرات مكافحة السموم.

استمرت في النظر إليه ولكن عيناها لم تثبتا عليه، بل بدا كأنهما تريان دائرة كبيرة في المكان حوله. سألته:

- هل لديك ثعبان ذكر، ذكر من الثعابين الجرسية؟

- حسنًا، أعلم أنني أملك واحدًا. جئت ذات صباح ووجدت ثعبانًا كبيرًا ملتفًا حول أفعى أصغر، كانا يتزاوجان، وهو شيء نادر جدًا في الأسر. وهكذا أنا أعلم أن لدي ثعبانًا ذكرًا.

- وأين هو؟

- في القفص الزجاجي بجوار النافذة هناك.

كان رأسها يتأرجح ببطء، لكن يديها الهادئتين لم تتحركا. عادت بنظراتها له. سألته:

- هل يمكنني رؤيته؟

نهض ومشى إلى القفص الزجاجي قرب النافذة. رقدت كومة متشابكة من الأفاعي الجرسية، لكن رؤوسها كانت ظاهرة. خرجت الألسنة وومضت للحظة ثم حامت في الهواء لأعلى وأسفل كأنما تستشعر اهتزازات الهواء. قام الدكتور «فيليبس» بتحويل رأسه بعصبية. كانت المرأة تقف بجانبه. لم يسمعها

تنهض من على الكرسي. لقد سمع فقط صوت تكسر أمواج الماء بالأسفل، وصوت الطرطشة لدى اصطدامها بالصخور، وصوت اندفاع الفئران على أسلاك القفص. قالت بهدوء:

- أيها هو الذكر الذي تحدثت عنه؟

أشار إلى ثعبان ضخم رمادي يرقد بمفرده في أحد أركان القفص. قال:

- هذا. يبلغ طوله حوالي خمسة أقدام. لقد جاء من ولاية «تكساس». عادة ما يكون حجم ثعابين ساحل المحيط الهادئ لدينا أصغر، كان يأكل الكثير من الفئران. كل الكمية التي أضعها لهم. لهذا عندما أريد أن يأكل الآخرون، يجب أن أخرجه من القفص.

حدقت المرأة في الرأس المفلطح بصمت، بينما انزلق اللسان المتشعب للخارج وظل يهتز للحظة طويلة. سألته:

- وأنت متأكد من أنه ذكر؟

قال بصراحة:

- الأفاعي الجرسية غريبة. كل تعميم يثبت خطؤه تقريبًا. لا أحب أن أقول أي شيء محدد عن الأفاعي الجرسية، ولكن -نعم- يمكنني أن أؤكد لكِ أنه ذكر.

لم تتحرك عيناها عن الرأس المسطح. سألته:

- هل تبيعه لي؟

هتف:

- أبيعه؟ أبيعه لكِ؟

- أنت تبيع العينات، أليس كذلك؟

- بلى بالتأكيد. بالطبع أفعل. بالطبع أفعل.

- كم الثمن؟ خمسة دولارات؟ عشرة؟

- أوه! لا يزيد عن خمسة. لكن هل تعرفين أي شيء عن الأفاعي الجرسية؟ قد تتعرضي للعض.

نظرت إليه للحظة دون تعبير قبل أن تقول:

- لقد أخطأت فهمي، فأنا لا أنوي آخذه معي. أريد أن أتركه هنا، لكن أريده أن يكون لي. أريد أن آتي إلى هنا وأنظر إليه وأطعمه وأنا أعرف أنه ملكي.

فتحت حقيبة صغيرة وأخرجت ورقة من فئة خمسة دولارات.

- هاك ثمنه! الآن هو ملكي.

بدأ الدكتور «فيليبس» يشعر بالخوف. لم يفهم ماذا تريد من شراء أفعى دون أن تأخذها معها. قال:

- يمكنك أن تنظري إليه دون أن تشتريه.

ثم صرخ فجأة وقد أدرك شيئًا:

- يا إلهي! لقد نسيت الوقت.

ركض إلى المنضدة.

- مرت ثلاث دقائق أكثر من المطلوب. لن يهم كثيرًا.

هز بللورات المنتول في الطبق الزجاجي الثاني. ثم اتجه مرة

أخرى إلى القفص حيث كانت المرأة ما تزال تحدق في الثعبان. سألت:

- ماذا يأكل؟

- أطعمهم فئرانًا بيضاء، فئرانًا من القفص هناك.

- هل يمكنك أن تضعه في القفص الآخر؟ أريد أن أطعمه.

- لكنه لا يحتاج إلى طعام. لقد التهم فأرًا بالفعل هذاالأسبوع. في بعض الأحيان لا يأكلون لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر. كان لدي ثعبان لم يتناول أي شيء لأكثر من عام.

سألت بنبرة رتيبة منخفضة:

- هل تبيعني فأرًا؟

هز كتفيه. لم تكن تلك هي أول مرة يتلقى فيها عرضًا مشابهًا، وغالبًا لنفس الأسباب. قال لها:

- أرى أنكِ ترغبين في مشاهدة كيف تأكل الثعابين الجرسية. حسنًا. سأريكِ. سيكلفك الفأر خمسة وعشرين سنتًا. إنها أفضل من مصارعة الثيران إذا نظرتِ إليها بطريقة ما، وببساطة ثعبان يأكل عشاءه إذا نظرت إليها بطريقة أخرى.

أصبحت لهجته جافة.

كان يكره الناس الذين يحولون العمليات الطبيعية مثل تناول الطعام لرياضة يشاهدونها. لم يكن رياضيًا بل عالم أحياء. بإمكانه أن يقتل ألفًا من الحيوانات من أجل المعرفة، ولكن ليس بمقدوره قتل حشرة من أجل المتعة. لقد فكر في هذا الموضوع من قبل. أدارت رأسها ببطء نحوه وبدأت ابتسامة تتشكل على

شفتيها الرفيعتين. قالت بهدوء:

- أريد إطعام ثعباني.

- سأضعه في القفص الآخر.

كانت قد فتحت الجزء العلوي من القفص وأدخلت يدها فيه قبل أن يلاحظ ما تفعله. قفز إلى الأمام وسحبها للخلف. أغلق الغطاء بعنف، وقد شعر بالجسد الأملس بالداخل يتحرك كأنما فوجئ بتحرك الغطاء. سأل بشراسة:

- أليس لديكِ أي عقل؟ ربما لن تقتلك العضة، لكنه سيجعلك مريضة على الرغم من كل ما يمكنني فعله من أجلك.

قالت بهدوء:

- ضعه في القفص الآخر إذن.

ارتجف الدكتور «فيليبس».

وجد أنه يتجنب هاتين العينين الداكنتين اللتين لا يبدو أنهما تنظران إلى أي شيء. شعر أنه من الخطأ الفادح وضع فأر في القفص، وأنه أمر خاطئ للغاية، ولم يكن يعرف السبب. كثيرًا ما كان يضع الفئران في القفص عندما يرغب شخص أو آخر في رؤية نفس هذه العملية، لكن هذه الرغبة الليلة أثارت غصة في حلقه. حاول أن يخرج نفسه من هذا الشعور فقال:

- إنه لأمر جيد لمشاهدته. إنه يوضح لك كيف يمكن للثعبان أن يتصرف. يجعلك هذا تحترم الأفعى الجرسية. لكن هناك مشكلة أن الكثيرين ممن يشاهدون هذه العملية تنتابهم كوابيس حول الثعابين وهي تصطاد فريستها. أعتقد أن للأمر علاقة بأنهم

يتوحدون مع الضحية، وهي الفأر في حالتنا هذه. عقلهم الباطن يضعهم مكان الفأر، ويتخيلون الأفعى تزحف نحوهم هم! الأمر كله يعتمد على كيف ترى الأمر. لو كنت تنظر للموضوع على أنه مجرد ثعبان يلتهم وجبته وينتهي الرعب. لماذا لا يشعرون بنفس الرعب حيال الأسود وهي تلتهم فرائسها؟

أخذ عصا طويلة مزودة بأنشوطة جلدية من على الحائط. فتح المصيدة، وألقى الخناق على رأس الثعبان الكبير وشد الحزام الجلدي.

ملأ الغرفة صوت خشخشة جاف عالٍ.

تلوى الجسم السميك حول مقبض العصا وهو يرفع الثعبان للخارج ويسقطه في قفص التغذية. بدا كما لو كان على استعداد للقيام بالهجوم لبعض الوقت، لكن توقف الصوت تدريجيًا. زحف الثعبان إلى زاوية القفص، وشكل بجسده رقم ثمانية كبير، وظل راقدًا. أوضح الطبيب الشاب لجليسته:

- كما ترين، هذه الثعابين مروَضة تمامًا. لقد كانت لدي من وقت طويل. أفترض أنني أستطيع التعامل معهم إذا أردت ذلك، لكن كل من يتعامل مع الأفاعي الجرسية يتعرض للعض عاجلًا أم آجلًا حسب ما سمعت. أنا فقط لا أريد أن يحدث لي هذا. أؤجل حدوث تلك اللحظة بقدر الإمكان.

ثم نظر إلى المرأة. كره أن يضع الفأر بالقفص. كانت قد تحركت أمام القفص الجديد، ثبتت عينيها السوداوين على رأس الثعبان مرة أخرى. قالت:

- ضع الفأر.

ذهب على مضض إلى قفص الفئران. لسبب ما، شعر بالأسف على الفأر الذي سيلتقطه، وهو شعور لم يمر به من قبل. تجولت عيناه فوق كتلة الأجساد البيضاء المحتشدة تتسلق جدران القفص السلكية باتجاهه. أيها يختار؟ أخذ يفكر. أي واحد فيهم سيكون وجبة الثعبان؟ فجأة استدار بغضب إلى المرأة.

- ألا تفضلين أن أضع قطة؟ وهنا سترين معركة حقيقية. قد تفوز القطة، وقد ينتصر الثعبان، ولكن إذا فازت القطة، فقد تقتل الثعبان. يمكنني أن أبيع لكِ قطة إذا أردتِ.

لم تنظر إليه. قالت بهدوء:

- ضع فأرًا. أريده أن يأكل.

فتح قفص الفئران ودفع يده للداخل. ووجد إصبعه ذيلًا ورفع فأرًا ممتلئ الجسم أحمر العينين من القفص. كافح المخلوق الصغير في محاولة لعض أصابعه، وفشل في ذلك، فعلق من ذيله بالهواء بلا حراك. سار بسرعة عبر الغرفة، وفتح قفص التغذية، وأسقط الجرذ على الأرض الرملية. صرخ:

- الآن، شاهدي.

لم تجبه المرأة. كانت عيناها على الثعبان الذي رقد ثابتًا. أخذ لسانه المشقوق يخرج ويدخل فمه بسرعة، كأنما يتذوق هواء القفص. هبط الفأر على قدميه، واستدار وتشمم ذيله الوردي العاري، ثم سار دون قلق عبر الرمال.

خيم الصمت على الغرفة. لم يعرف الدكتور «فيليبس» ما إذا كان الصوت الذي سمعه هو صوت الماء وهو يمر داخل المواسير، أم أنه صوت المرأة تتنهد. من زاوية عينه رأى جسدها

مقرفصًا ومتصلبًا.

تحرك الثعبان بسلاسة وببطء. اللسان يدخل ويخرج.

كانت الحركة تدريجية وسلسة للغاية لدرجة أنها لا تبدو وكأنها حركة على الإطلاق. جلس الفأر في الطرف الآخر من القفص في وضعية الجلوس وبدأ يلعق الشعر الأبيض الناعم على صدره. تحرك الثعبان، فشعر الشاب بالتوتر كأنما هو المحبوس في القفص معه. شعر بالدم يصعد إلى مخه. قال بصوت عال:

- انظري إلى حركته المتناسقة، كأنما هو جاهزللانقضاض في أي لحظة. الأفاعي الجرسية حيوانات حذرة لدرجة تجعلها تكاد تكون جبانة. العملية حساسة للغاية. يحصل الثعبان على عشائه من خلال عملية حساسة مثل الجزاح المحترف، لا يجازف بأدواته.

كان الثعبان قد وصل إلى منتصف القفص الآن. نظر الفأرلأعلى ورأى الأفعى، ثم عاد بلا مبالاة إلى لعق صدره. قال الشاب:

- إنه أجمل شيء في العالم.

كانت عروقه تنبض.

- إنه أفظع شيء في العالم..

كان الثعبان قريبًا الآن. رفع رأسه بضع بوصات عنالرمال. تحرك الرأس ببطء ذهابًا وإيابًا، مصوبًا، ثم يبتعد، ويصوب مرة أخرى.

نظر الدكتور «فيليبس» مرة أخرى إلى المرأة، ثم شعر

بالإعياء. كانت تراقب أقل حركة تصدر عن الثعبان، الذي صار لها، فيما بدا له كاستمتاع مريض. هل ارتسمت نفس النظرات في أيدي الرومانيين وهم يرمون المساجين أمام الأسود ليشاهدوهم في المعركة المحددة النتيجة سلفًا؟

نظر الفأر لأعلى ورأى الثعبان. هبط على قدميه الأربعةأقدام ثم استعد للتحرك، وبعد ذلك حدث الأمر فجأة!

كان من المستحيل رؤية ما حدث، فهو لم يستغرق إلا مجرد لحظة خاطفة. صرخ الفأر كما لو تعرض لضربة غير مرئية. ارتد الثعبان مسرعًا إلى المنطقة التي أتى منها واستقر ولسانه يتحرك باستمرار. هتف الدكتور «فيليبس»:

- عظيم! مباشرة بين كتفي الفأر! لا بد أن الأنياب قد وصلت إلى القلب تقريبًا.

وقف الجرذ ثابتًا، يتنفس مثل منفاخ أبيض صغير. وفجأة قفز في الهواء وسقط على جانبه. ركلت أقدامه بشكل متقطع لثانية ثم مات. استرخت المرأة أكثر، بينما قال الشاب:

- حسنًا ، لقد كان موقفًا مثيرًا للعواطف، أليس كذلك؟

وجهت عينيها الغامضتين إليه. سألته:

- هل سيأكله الآن؟

- بالطبع سوف يأكله. لم يقتله من أجل التسلية. لقد قتله لأنه كان جائعًا.

لوت المرأة فمها صامتة، ثم نظرت إلى الثعبان. قالت بالنهاية:

- أريد أن أراه يأكله !

الآن خرج الثعبان من ركنه مرة أخرى. اقترب من الفأر بحذر شديد، مستعدًا للقفز للخلف في حالة مهاجمته. دفع الجسد الأبيض الساكن برفق بأنفه الحاد وابتعد. بعد أن تأكد من أنه مات، لامس الثعبان الجسم كله بذقنه، من الرأس إلى الذيل. بدا وكأنه يقيس الجسد ويقبله، وبالنهاية فتح فمه وفصل فكيه عند الزوايا. بذل الدكتور «فيليبس» قصارى جهده لمنع رأسه من الالتفات نحو المرأة. فكر أنها إذا فتحت فمها، فسيصاب بالإعياء. لا يرغب برؤية التعبير المرتسم على وجهها لدى رؤية هذه اللحظة بالذات حتى لا تنهار أعصابه. سيشعر بالخوف. نجح في إبعاد عينيه. ثبّت الثعبان فكيه فوق رأس الفأر ثم بدأ في ابتلاع الفأر ببطء. تشبث الفكين وانتفخ الحلق كله، وسيطر الفك مرة أخرى. استدار الدكتور «فيليبس» وذهب إلى منضدة عمله وقد تذكرها، لكن بعد فوات الأوان للأسف. قال بمرارة:

- لقد جعلتِني أفوت إحدى الخطوات. لن تكون المجموعة كاملة. فسدت التجربة كلها! تبًا! سأضطر لإعادة كل شيء من البداية.

وضع أحد الأطباق الزجاجية تحت مجهر منخفض الطاقة ونظر إليه، ثم قام بصب محتويات جميع الأطباق في المغسلة بغضب. كانت الأمواج بالخارج قد هبطت بحيث لم يكن هناك سوى همسة رطبة تمر فوق الأرض.

رفع الشاب بابًا سحريًا عند قدميه وأسقط نجوم البحر في المياه السوداء. توقف عند القط المصلوب فوق المهد والمكشر عن أنيابه بطريقة مضحكة نحو الضوء. كان جسده منتفخًا بسائل التحنيط.

أوقف الضغط وسحب الإبرة وربط الوريد. سأل:

- هل ترغبين بتناول بعض القهوة؟

- لا، شكرًا. سأرحل قريبًا.

مشى إليها حيث وقفت أمام قفص الثعبان. تم ابتلاع الفأر، باستثناء بوصة واحدة من الذيل الوردي الذي برز من فم الثعبان مثل لسان ساخر. لأول مرة في حياته شعر بهذا المشهد يثير اشمئزازه. أوشك أن يتقيأ.

نزل الحلق مرة أخرى واختفى الذيل. ارتد الفكان مرة أخرى في تجاويفهما، وزحف الثعبان الكبير بثقل إلى الزاوية، وصنع بجسده حرف ثمانية إنجليزي كبير، وأسقط رأسه على الرمال. قالت المرأة:

- إنه نائم الآن. سأرحل. لكنني سأعود وأطعم ثعباني كل فترة. سأدفع ثمن الفئران. أريده أن يحصل على الكثير. وفي وقت ما سآخذه معي.

خرجت عيناها من عالمهما للحظة قالت فيها:

- تذكر، إنه ملكي. لا تأخذوا سمه. أريده أن يحتفظ به. ولا تطعمه بينما أنا غير موجودة، فأنا لا أريد أن يدخل أي شيء جسده بغير علمي. طاب مساؤك.

ثم سارت بسرعة إلى الباب وخرجت. سمع وقع أقدامها على درجات السلم، لكنه لم يسمعها وهي تمشي على الرصيف. أدار الدكتور «فيليبس» كرسيًا وجلس أمام قفص الثعبان. حاول أن يصفي ذهنه وهو ينظر إلى الثعبان خشن المظهر. فكر أنه قد قرأ

الكثير عن الرموز الجنسية النفسية. ربما يكون لافتتانها بمشاهدة الثعبان علاقة بكبت جنسي مثلًا؟ لكن لا يبدو أن هذا يفسر مسلكها. ربما هو وحيد جدًا. ربما يجب أن يقتل الثعبان. إذا علم أن.... لا، لا يستطيع أن يفكر في التصرف المناسب حيال أي شيء.

لأسابيع كان يتوقع عودتها. قرر أن يخرج ويتركها وحيدة هنا عندما تأتي مرة أخرى. لن يرى الشيء الملعون يحدث مرة أخرى.

لكنها لم تأتِ مرة أخرى. لعدة أشهر بحث عنها عندما كان يتجول في المدينة. ركض عدة مرات خلف امرأة طويلة اعتقد أنها قد تكون هي.

لكنه لم يرها مرة أخرى قط.

ولم يعد يجول بعقله غير فكرة واحدة: هل قامت بتجربة أخرى خطرة تسببت بموتها؟

هل سيعرف أبدًا سبب اختفائها؟

